

مفاهيم القرآن

(40) فإنَّ الفقرة الـأولى من الآية تعكس عقيدة المشركين وأنَّه لولا أمره ومشئته لما كذَّباً مشركين، لكن الفقرة الثانية تردُّ عليها ببيان أنَّ الشرك ظلم و قبيح، واللَّه لا يأمر بهما، وبالتالي لا تتعلق مشيئته بهما. والعجب أنَّ تلك العقيدة السخيفة لم تُجسِّتْ بل بقيت عالقة في أذهان عدَّة من الصحابة حتى بعد بزوغ نجم الإسلام. روى السيوطي عن عبد الله بن عمر: أنَّه جاء رجل إلى أبي بكر، فقال: أرايت الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: فإنَّ الله قدَّره عليَّ ثمَّ يعذِّبني؟! قال: نعم يا بن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك، (1) وليس الخليفة الـأولَّ وحده ممن كان يحتج بالقدر السالب للاختيار، بل كان غيره على هذه الفكرة. روى الواقدي عن أُمِّ الحارث الـانصارية، وهي تحدَّث عن فرار المسلمين يوم حنين، قالت: مرَّ بي عمر بن الخطاب منهزماً، فقلت: ما هذا؟ فقال عمر: أمر الله. (2) نرى أنَّ عمر يلجأ إلى أمر الله وقضائه، وأنَّ الهزيمة كانت أمراً قطعياً لأنَّه سبحانه شاءها وأرادها، دون أن ينظر إلى سائر الـأسباب التي حثت بهم إلى تلك الهزيمة. لقد اتخذ الـأمويون مسألة القدر أداة تبريرية لـأعمالهم السيِّئة وكانوا ينسبون وضعهم بما فيه من شتى ضروب العيث والفساد إلى القدر، قال أبو هلال العسكري: إنَّ معاوية أوَّل من زعم أنَّ الله يريد أفعال العباد كلَّها. (3)

(1) تاريخ الخلفاء: 95. (2) مغازي الواقدي: 3|904. (3) الـأوائل: 2|125.